# "نبيل" ... سر جديد في مخيم الدهيشة

حيث يقف الزائر أمام مخيم الدهيشة ويلفه الصمت الذي يقطعه مرور دورية عسكرية راجلة وأخرى تحرس قبالة المخيم. وجيب عسكري "يتجنق" ببطء في الحسينية وإلى جانب السائد. جندي في حالة استعداد يصوب رشاشه جهة المخيم. يوقن الزائر بأن ذلك هو الصمت الذي ينذر بإندلاع العاصفة. وحين يقترب ويصبح وجهًا لوجه أمام السياج الحديدي المحيط بالمخيم على ارتفاع "٦" أمتار ويعرف بأنه إذا أراد الدخول فعليه أن يلج من باب صغير. وهو المدخل الوحيد للمخيم تتداعى أمامه صور وصور كثيرة في نفسه وعقله. ولا يحتاج إذا كان شابًا وسمع عن مئات التفتيشات أن يتقبل واحدًا منها. فإنه سيجد نفسه أيضًا "غيتو" يضم حوالي (١٣,٠٠٠) نسمة المخرج والمدخل الوحيد لهم باب صغير (٢٢٥ م) تستطيع سلطات الاحتلال أن تغلقه بالقفل وتحتجز السكان المدة التي تريد. وروى لي الأهالي بأن الجنود أحيانًا كثيرة يوقفون الهال العائدين من أشغالهم طوابيرًا ويدخلونهم واحدًا واحدًا بعد تفتيش استفزازي وفحص بطاقات الهوية.

في هذا المخيم الذي يقع على بعد (٢) كم جنوبي مدينة بيت لحم. وضعت السيدة انتصار حسن مناع (٢٢ سنة) مولودًا ذكرًا وجهه كقطعة الجبنة البيضاء. لذا فهو بمقياس والديه والسكان المحليين جميلًا وبالتالي فإنه يستحق لنبيل اهتمام وعناية مميزة. وفعلًا حظي الطفل "انتصار" باهتمام زائد من قبل أقاربي المخيم والأقارب والجيران. ولم يعود هذا الاهتمام

لبيامه الطفل الناصع فقط وفرحة الأهالي، تقليدياً، بكل مولود ذكر

ولكنه، أساساً، يعود الى الاسم الذي اختارته "انتصار" وزوجها للطفل

الجديد.

تقول انتصار:

"أسميته نبيل على اسم الشهيد الحكيم نبيل أبو لبده .. الذي أسلم

الروح على يدي .."

يأخذ بطرف الحديث زوجها أكرم (٢٥ سنة) ويروي القصة منذ البداية:

"يوم استشهاد الفتى نبيل .. حضرت قوة من الجيش واعتقلت أحد شباب

الحي .. وحينما تدافعت بعض نساء الحي لتخليص الشاب من أيدي الجنود

انهالوا على النساء بهراواتهم .. الأمر الذي أغاظ الشباب وأخذوا يرشقون

الجنود بالحجارة واندلعت اشتباكات واسعة .. وكانت القنابل الغازية

والعيارات النارية والمعدنية تطلق بكثافة فتوقعنا أن يسقط شهداء

وجرحى .. بعد ساعة من اندلاع المواجهات "شاهدنا عدة شباب يركضون

باتجاه بيتنا .. وما إن اقتربوا حتى سقط أحدهم على الأرض .."

## نقالة وصبية

يكمل السيد أكرم بعد أن أشعل سيجارة وتغلب على الحشرجة التي انتابت

صوته:

"وعلى الفور أسرعت اليه أنا وزوجتي وأولادي الصغار. وعرفنا منه أول

نظرة أن الجريح هو الطفل نبيل أبو لبده وحده أنتركه للمفاجأة والتأثر

من حالته وهو مغمى عليه والدماء تنزف من فمه وأذنيه. أنه أخذنا

وتحمل قدرتنا على المساعدة. حملته بين يدي. وطلبت من زوجتي

أن تذهب بسرعة وتطلب من عمها أن يحضر سيارته .. وبسرعة

البرد كانت السيارة جاهزة .. وضعناه في المقعد الخلفي في حين

انتظار "

تفرغت انتصار وطلبت أن تأمل الحديث عن زوجها :

" وهو في حجري .. كانت يدنا أنا وعمي على قلبينا . نجب أن نوصله الى

المستشفى دون أن يعترضنا أي من الجنود والا فإنهم سيأخذونه ويتركونه

يانتظار الموت المحقق .. تناوبنا أعصابنا " ولكن أتتنا سرعة بديهة

جعلتنا نعرف الطريق الذي علينا أن نسلكه .. سرنا بالسيارة وقبل

أن نخرج من المخيم " صرخ نبيل الحظات وتمتم ( آه .. آخ - يمة ) وبعد

لحظات فتح عينيه على وسعها .. تعلقت في وجهي .. واحدى يديه ..

في يدي بشدة .. ثم أسلم الروح ... "

ما أن أكملت انتصار جملتها الأخيرة حتى ظهرت الدموع من عينيها .

قال أكرم :

" ومع ذلك ما كنت انتصار أعصابها وأكملوا الطريق بنبيل حتى المستشفى

رغم قناعتها بأنه قد استشهد .. كانت زوجتي حامل في شهرها الرابع

تخوف الناس وأكد قارب من الموقف الذي عايشته انتصار باستشهاد نبيل

على يديها وتكهنوا بأنها ستجهض وتسقط حملها .. ولكننا إمتلكنا قدراً

كبيراً من التحدي وقلنا بأن انتصار ستحتفظ بحملها .. وبان جاء ولد فسميه

نبيل .. وأخذنا ننتظر أنا وأولادي وانتصار وكل الناس مجيء نبيل وحين

كانت انتصار في المستشفى " وصلت تلفونيا وكان يجابني ابني محمد (١٤ سنة)

وحين سمعني على التلفون وتلقى الاجابة " ولد " ... أخذ يرقص ويركض

ويصرخ فرحاً : لقد جاء نبيل ... جاء نبيل "

وتوافد الناس علينا مهنئين .. " قبول مجيء نبيل "

طلبت انتصار أن تضيف :

" حين فتح نبيل عيناه وجحظ في وجهي شعرت بأنه يحاول قول شيء أو وصية وضعت

يد بي على ذراعه أطمئن على النقانة الملفوفة على ذراعه.. وجبينه وجدتها ارتفعت معنوياتي وهو شهيد بيده يدي "

باركت له أنا أيضًا له للوالدة وله قاربه وبعض الشباب الذين تجمعوا في الغرفة. وهرجته.

## اليوم الأخير - ميلاد آخر

انتقلت الأبيت الشهيد نبيل .. استقبلني أخوه وأخوته بالترحيب المعهود سلمت على والدته التي تخطى الثمانين وفقد القدرة على السمع والبصر . أدخلوني غرفة الضيوف التي ازدانت بصور لنبيل وشهداء آخرين من الحي وبقصاصات من الجرائد الشعبية المختلفة . وأبرز صورة معلقة للشهيد نبيل محروقة بالأبيض والأسود وكتب عليها: « علمنا نبيل أن البطل يموت في سبيل الشرف وأن الشرف أقوى من الموت .. » .

تبادلنا التحايا . وشربنا الشاي . استأذنت أم الشهيد بالخروج بعد أن مكثت معنا ما يقارب ساعة الزيارة ..

قال شقيقه الأكبر ابراهيم (٢٥ سنة) محدثًا :

« تعرفوه نبيل استشهد في ١٢/١/٨٩ وعمره (١٥ عامًا) ولم يمضِ على استشهاده الكثير .. وأمه تحاول أن تبعد عن أي شيء قد يثير الجرح رغم أنها أخذت لنا بقوة صبر غريبة ومعنويات مرتفعة في اليوم الأول والأسابيع التالية لاستشهاده .. ولكنه جرح لا يغيب عن خاطرها أبدًا "

تدخل شقيقه "عبد" (٢٢ سنة) باسمًا :

« كان الصغير .. عقاب الهنقود .. طفلها المدلل .. صاحب الطلبات المجابة .. "

اقترحت أن تتحدث عن اليوم الأخير لنبيل :

بدأ الحديث ابراهيم :

« أولاً هو ليس يوم أخير ، وبدوره كان ميلادًا جديدًا

أخو نبيل .. الناس كانت تأتي للتهنئة وتقول لوالده استشهد .. الحمد لله بأن شعبنا حي ويناضل ولا يبخل على الوطن بالشهداء .. ، و قبل أن نتحدث عن يوم استشهاده .. سأعود بالذاكرة الى قبل ذلك بحوالي أسبوع حيث كان كثير الحديث عن الاستشهاد فهو مرضٌ صعب يواجه هرمون أمه وتضايقها دائماً تقول الدور اليوم كان على فلان وغداً سيكون عليّ .. "

بعد برهة أكمل "ابراهيم" :

"إمتاز نبيل بالمرح وبإهتمام جميع أخوته وأخواته لكونه أصغرنا .. ويوم استشهاده ذهب معي صباحاً الى بيت لحم وكان في حالة فرح استثنائية .. وعندما عدنا الى الغداء لم يكن عن مدافعته أمي .. يلعب معها .. يحاول أن يحملها ويرفعها على كتفيه ولم يخرج الى الشارع مثلما هي العادة وعصراً سمعنا والدته النار .. حاولنا أن نعرف ما الذي يحدث .. انطلق نبيل الى الخارج حاولت أمي أن تستبقيه ولكنه وعد بأنه سيستطلع الأمر ويعود .. شيعته أمي بالدعوة بجملة "الله يرد عليك سالم" و "الله يحميك .. انت وكل الشباب".

أكمل عيسى :

"لم تطمئن أمي .. قلبها دوماً يحدثها بأشياء وكما يقولون قلب الأم دليل .. بحثنا عن نقاط .. فلم نجدها .. وبعد فترة انتظار حدثنا بأنه مصاب حاولنا تهدئة أمي ، فنبيل اصيب قبل ذلك مرتين .. اذ فتشنا بحثنا عنه في المستشفيات وعرفنا بأنه قد استشهد .. وأخفاه الشباب كي لا يختطفه الجنود" ..

في أثناء حديث عيسى عن ابراهيم وأحضر بعض الصور لنبيل في فترات مختلفة . اقترنا إهداء الصور بحتفظ بها . جمعت أوراقي وتأهبت الخروج ، اندفع نبيل مسرعاً الى الغرفة وهو يلهث واغلق الباب وراءه . هم وهو يضع سبابته على شفتيه :

- جيشنا .. عاش

وبسرعة . هب الجميع . واحكم اغلاقه الشبابيك والمنافذ واشقوقه بأقمشة قديمة حفظت لهذه الغاية . ولم يتسرب الا القليل من القنابل الغازية التي أطلقها الجنود الذين على مايبدو كانوا يلاحقون بعض الاشبال بعد رشقهم بالحجارة . وعلى أية حال كان "البصل" و "الكولونيا" جاهزا في طاريا ..

- هذا خبزنا اليومي .. كل فترة .. بين الساعة والساعة تطلق القنابل الغازية والعبارات النارية والمعدنية .. ومع كل ذلك صبنا الحياة وتصميمنا لنيل حقوقنا لا يعرف الحدود ..

قال ابراهيم أبو لبن .

- كله تمام .. افتحوا المنافذ .. كي يدخل الهواء .

بعد فترة بشّرنا الشبل الذي الصق أذنه على الجدار وأصاخ السمع وتبين وصهيل الجنود ...

عاد جو من المرح . قررت الخروج . أمسك الشبل جلبة ووقف وسط الغرفة رافعا شارة النصر :

- كلنا بنيل .. كلنا بنيل صورني .

اقتربت منه وخاطبته بهمس .

- ولكن بنيل دفع ثمنا غاليا ..

أجاب بصوت حاول أن يكون طبيعيا ومعبرا :

- فلسطين دفعت .. ودمنا لها .

بقلم : اسامة محيسن العيسة